بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة السابعة:
الأمانة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

ومن الأخلاق الاجتماعية الإيجابية التي أود في حلقة اليوم أن أحدثكم عنها وأبيّن حُسنَها: خلق "الأمانة".

- يقول رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدَاً نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتَاً مُمَقَّتَاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتَاً مُمَقَّتَاً نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنَاً مُخَوَّنَاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنَاً مُخَوَّنَاً نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيْمَاً مُلَعَّنَاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيْمَاً مُلَعَّنَاً نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ»** [رواه ابن ماجه]، ورِبْقَةَ الْإِسْلَامِ: هي ما يَشدُّ به المُسلم نفْسَه من عُرَى الإسلام: أي حُدُوده وأحكامه وأوامِره ونواهيه

- ذكر الإمام الواحدي في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النِّساء:58]: (نزلت في عثمان بن طلحة ◄ من بني عبد الدَّار، كان سادن الكعبة، فلمَّا دخل النَّبيُّ ﷺ مكَّة يوم الفتح أغلق عثمان ◄ باب البيت وصعد السَّطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح فقيل: إنَّه مع عثمان فطُلب منه فأبى وقال: لو علمت أنَّه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى عليّ بن أبي طالب ◄ يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلّى فيه ركعتين، فلمَّا خرج سأله العبَّاس ◄ أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السِّقاية والسّدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يردّ المفتاح إلى عثمان ◄ ويعتذر إليه ففعل ذلك عليّ ◄ فقال له عثمان ◄: يا عليّ أكرَهتَ وآذيتَ ثمّ جئت ترفق؟! فقال: لقد أنزل الله تعالى في شأنك وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله، وأسلم. وقال ﷺ: **«خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله، لا ينزعها منكم إلا ظالم»**.

إنَّ النَّاس إذا شعروا بأنَّ حقوقَهم محفوظة، وأماناتِهم مرعية، وحرماتِهم مصونة، فشا الأمن وبُسِطَت الطُّمأنينة. أمَّا إذا عدا القويُّ على الضَّعيف، وهضم الغني حق الفقير، وسَطَا القادر على العاجز، فأيَّةُ طمأنينة وأيَّةُ سكينة تُرْجَى لهم ومنهم.

قرأت في كتاب عنوانه "نظراتٌ في كتاب الله تعالى" للأستاذ الشَّيخ هِشام عبد الرَّزاق الحمصي -طبعته دار الكلِم الطَّيب بدمشق-، مبحثاً نافعاً في الإيمان والأمانة والأمن، أحببت أن أطلعكم في هذه الحلقة على شيء ممَّا جاء فيه.

قال المؤلِّف:

(الإيمان والأمانة والأمن كلماتٌ ثلاث ترجع في اشتقاقها اللُّغوي إلى أصل واحد، وارتباطها اللُّغوي جعل بينها ارتباطاً واقعياً في المادة والمعنى).

يعني أنَّ الإيمان بالله تعالى يقضي أنْ يكون المرء متحلِّياً بالأمانة في سلوكه وأخلاقه، وكلاهما -الإيمان والأمانة- يورثان الأمن الحقيقي: أمنَ الأفراد وأمنَ المجتمعات والأمنَ النَّفسي والصِّحي والفكري والسِّياسي والجنائي.

فالمؤمن الذي يؤدّي الحقوق والأمانات إلى أهلها في أزمانها وأماكنها، يعيش أمناً حقيقياً، وغيرُ المؤمن أو المؤمنُ الذي يعتدي على الحقوق ويخون الأمانات يعيش خوفاً حقيقياً، يخاف وقوعه بيد العدالة حيناً، ويخاف وقوعه بيد من اعتدى عليهم حيناً آخر، ويخاف وقوعه بيد الله حيناً ثالثاً.

يقول المؤلِّف: (قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النِّساء:58].

وردت كلمة ﴿الْأَمَانَاتِ﴾ في الآية بالجمع لتشمل كلَّ أمانة مادية ومعنوية، فالعارية أمانة، والأسرة أمانة، والأولاد أمانة، والحواس أمانة، والوظيفة أمانة، والحُكْم أمانة، والقضاء أمانة، والكيل والميزان أمانة، والبيع والشِّراء أمانة، وكلُّ مسؤولية أو تصرف في قولٍ أو عملٍ أمانةٌ يجب أداؤها ومراعاتُها في ساحة شرع الله ورضاه، فإذا وصل كلُّ حقٍّ إلى صاحبه كاملاً، شعر بالطُّمأنينة والقناعة والرِّضا، وعاش الجميع في مجتمع مؤمنٍ أمينٍ آمنٍ...

- قال رسول الله ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**» [رواه أبو داود والتِّرمذي].

أمَّا ضياعُ الأمنِ وفقدُه فهو نتيجةٌ لضَيَاع الحقوقِ والأمانات وفقدها.

ورحم الله شاعر الباكستان الفيلسوف محمد إقبال القائل:

إذا الإيمان ضاع فلا أمانٌ ولا دُنيا لِمن لَم يُحْيي دِينا

ومن رَضي الحياة بغير دِينٍ فقد جَعَل الفناء لها قرينا)

- أرسل سيَّدنا عمر بن الخطاب ▲ إلى ولاته وعماله في الأمصار يقول: (إيَّاكم والغضب، والحُكْمَ بالهوى أو أخذَ الرِّشا، واجعلوا النَّاس في الحق سواء، القريب كالغريب والبعيد كالقريب، لا تضربوا النَّاس فتذلُّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفِّروهم).

يقول المؤلِّف: (والأسرة ينتشر فيها الأمن والسُّرور حين يعدل الوالد بين أولاده في العطية وحسن المعاملة وبين زوجاته كذلك، فيبادلُه الجميعُ الحبّ والولاء والمودَّة والإخلاص ويتمنّون له طول العمر.

والأخ الكبير الذي يرعى حقوق إخوته وأخواته بعد وفاة أبيهم فينصفهم ويعطي كلَّ ذي حقٍ حقه، فإنَّه واجدٌ منهم حبَّاً ووفاءً، يشاركهم السَّعادة في أسرة آمنة مطمئنة لا يكيدُ أحد لآخر ولا يتربَّص به الدَّوائر...

وزوجة الأب التي تخاف الله فترعى حقوق أولاد زوجها من غيرها كما ترعى حقوق أولادها منه ستجد منهم عطفاً وحناناً وإخلاصاً وولاءً ينعكس أمناً ورخاءً...

والمعمل ينتشر فيه الأمن حين يُخلِص صاحبُه لعماله ويعطف عليهم ويرعاهم، فيبادلونه بالحبِّ حبَّاً وبالرِّعاية اهتماماً.

والمجتمع يعيش في ساحة الأمن والأمان والسِّلم والسَّلام حين يقوم في حكمه وقضائه على العدل والشُّورى والمساواة فينهضُ المجتمع سليماً معافىً.

ولا يغْترَّن خائنٌ لأمانة بكسبٍ حرامٍ عاجلٍ وغُنْمٍ جاء بعد تصرف ظالم غافلٍ، فإنَّ حسابه وعقابه لابُدَّ قادمٌ نازلٌ، إنْ في العاجل أو في الآجل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية:15].

ونحن اليوم مدعوون إلى ترسيخ الإيمان في قلوبنا وتعزيز الأمانة فيما بيننا حتَّى يُبْسَط الأمن بيننا.

- فالطَّالب أمانة في عنق المعلم، وربُّنا سائله هل حفظ الأمانة أم ضيَّع؟
- والمريض أمانة في عنق الطَّبيب، وربُّنا سائله هل رعاه أم فرَّط؟
- والجريح أمانة في عنق الممرّض، وربُّنا سائله هل قدَّم وِسْعَه أم قصَّر؟
- والمنشآت العامَّة أمانة بيد النَّاس، وربُّنا سائلنا أحافَظنا عليها أم أساء لها أحد؟
- والمشتري أمانة في عنق البائع، وربُّنا محاسبه أنصحه أم غشَّه؟
- والمراجع أمانة في عنق الموظف، وربُّنا سائله أخَدمَه وأعانه أم ابتزّه؟
- والموكِّل أمانة في عنق المحامي، وربُّنا سائله أدَّى واجبَه أم أهمل؟
- والخبر أمانة في عنق النَّاقل والمحرر والمذيع، وربُّنا سائله: أصدقَ أم كذب؟

وهكذا يدخل الإيمان والأمانة في العبادات والمعاملات والعلاقات الأسرية وفي القضاء وفي الولايات العامَّة والخاصة.

ومهما فشا الإيمان وزادت الأمانة فشا الأمن والسِّلم في الأرض.

هذا حديثي لكم عن الإيمان والأمانة والأمن، أرجو الله تعالى أن يكتب به النفع لي ولكم وللمسلمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته